



سيميائية النسق اللساني والتناص العنواني
في عناوين روايات واسيني الأعرج (نمادج مختارة)

The Simiotics of the Linguistic System and the
Intertextuality in the Titles of Wassini Al-A'raj's Novels
(Selected Sample)

بادحو أحمد¹ بلقاسم هوارى²

مخبر السيميائيات وتحليل الخطابات

¹ جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، hamooda902@gmail.com

² جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)، houaribelkavem00@yahoo.fr

ملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن علامات العنونة في روايات واسيني الأعرج المختارة في نسقها اللساني، وفي تناصها العنواني، كما انتهجنا المنهج السيميائي المناسب لهذه الدراسة متناولين كلاً من مفهوم العنوان، وسيميائية النسق اللساني، وسيميائية التناص العنواني؛ كعناصر أساسية للوصف والمقاربة؛ انبثق عنهم عناصر جزئية، كونوا بذلك خطاطة هذا البحث وتشكله. كل ذلك للإجابة عن إشكالية محورية، وهي كيف تجلّت علامات العنونة اللسانية والتناصية في الروايات المختارة؟ كلمات مفتاحية: عنوان، سيميائية، رواية، تناص، نسق. واسيني الأعرج.

Summary:

The research aims to uncover the signs of titling in the selected novels of Wassini Al-A'raj within their linguistic structure and intertextuality. We adopted a semiotic approach suitable for this study, addressing the concepts of title, the semiotics of the linguistic framework, and the semiotics of intertextual titling as essential elements for description and analysis. These elements led to the emergence of partial components that formed the outline and structure of this research. All this is done to

المؤلف المرسل: بادحو أحمد، الإيميل: hamooda902@gmail.com

address a central issue: how are the signs of linguistic and intertextual titling manifested in the selected novels?

Keywords: Title, Semiotics, Novel, Intertextuality, Framework, Wassini Al-Araj

1. مقدمة :

باتت الدراسات النقدية المعاصرة تتجه نحو مقارنة العنونة في الإبداعات الروائية؛ لأنَّ العنوان كنص موازٍ أضحى-راهنًا- كنزًا من كنوز النقد الأدبي لا يُستغنى عنه، بعدما كان في زمن مضى مُهمَّشًا وغير مفكَّر فيه؛ فانتحت الدراسة المنهج السيميائي، لكشف علامات عناوين الروايات المختارة.

أما خُطاطة البحث، فكانت من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة؛ تناول الأول مفهوم العنوان. ودرس الثاني سيمياء النَّسق اللساني في عناوين الروايات. أمَّا الثالث فاهتمَّ بسيمياء التناص العنواني في عناوين الروايات المختارة.

وهذا من أجل الإجابة عن إشكالية محورية؛ وهي كيف تجلت علامات العنونة في روايات واسيني الأعرج المختارة؟ وانبثقت منها أسئلة جزئية منها: ما العنونة؟ وكيف أضحيت نصًّا موازيا فعَّالًا؟ ما أثر العلامات اللسانية في العناوين؟ كيف تجلَّى التناص العنواني في الروايات؟

2. مفهوم العنوان:

1.2 المفهوم اللغوي:

جاء في معجم لسان العرب، مادة (عنن)، قول صاحبه: "عن الشيء يعنَّ عَنَّنًا وعنوانًا... ظهر أمامك ... اعتنَّ: اعترض وعارض ... عَنَّنْتُ الكتاب وأَعَنَّنْتُه أي عَرَضْتُهُ له.. يقال للرجل الذي يعرض ولا يصحَّح قد جعل كذا وكذا عنوانًا لحاجته. عنى الكتاب تعنيه، عُنُونُهُ. والعنوان الأثر. كلَّما استدلت بشيء تُظهره على غيره فهو عنوان له"¹.

إنَّ العنوان، وفَّق ما سبق، إظهار، واعتراض، وعرض، وتعرُّض وعدم تصريح، وأثر، واستدلال؛ وهي دلالات تقترب كثيرًا مما أشارت إليه دراسات العُنوان الحديثة. فما مفهوم العُنوان اصطلاحًا؟

2.2 المفهوم الاصطلاحي للعنوان

1.2.2 مفهوم العنوان لدى النقاد الغرب:

يعدّ ليو هوك "Leo Hoek" من النّقاد الغربيين الأوائل الذين كانت لهم يدُ السّبق في تناول العُنوان؛ الذي يراه علامات لسانية، تُقابل النّصّ الأصل، فتحيل إليه، وتحمل دلالات مضمونه، وتحاول استقطاب قرائه². كما أضحى العنوان بهذا الفهم، علامات لسانية، تعكس متن النّص، مُتَكِنَة في ذلك، على مَوقِعِها الاستراتيجي-في صفحة الغلاف الأولى- الجاذب لجمهور القراء والمتلقين.

كما زاد الاهتمام بالعنوان في النّقد الغربي؛ لينتقل من كونه علامة لسانية فقط إلى كونه نصّاً موازياً، وهذا ما ذهب إليه الناقد الفرنسي "جيرار جينيت" (Gérard Genette)؛ من خلال كتابه "عتبات" (Seuils) 1987، فيرى أنّ تعريف العنوان، يعدّ إشكالية من الإشكالات؛ تتطلّب جُهداً معرفياً كبيراً في التّحليل، أكثر من غيره من النّصوص الموازية، فيتشكّل من عناصر شبه مركبة غير حقيقيّة، منوطة بتعقيد، لا يرتبط أساساً بطولها³؛ وانطلاقاً من هذا التّعريف نلمح جينيت، قد بيّن بعض سمات العنوان، التي كان التعقيد واحداً منها؛ إضافة إلى تركيبه غير الحقيقي، يضيف لهذا الفهم غموضاً أكثر في تحديد الماهية؛ وقد أقرّ بذلك عندما أفصح بكونه إشكالية؛ وهذا يدلّ على عدم القبض على هويّته وكيّنونته، وإمكانية فهمه من عدّة جهات، وبتحليلات معمّقة، كونه يُوظّف في دلالات مختلفة.

2.2.2 مفهوم العنوان لدى النقاد العرب:

لم يجد النّقاد والباحثون العرب عن نظرائهم من الغربيين في تحديد مفهوم العنوان؛ فيراه بسام فطوس، بأنه تركيب لغوي طافح بالدلالات والإيحاءات⁴؛ أي أنّ العنوان، حمّال معاني؛ يأبى دلالة واحدة، وقراءة واحدة، بل يطلب من القارئ/المتلقّي أن يلجّ عالمه بحدّ، وأن يستلهم من النّصّ الأصل مجاهله.

في السياق نفسه، يربط محمد فكري الجزّار العنوان بالاسم للشيء؛ وانطلاقاً من ذلك، يأخذ هويّته، وسمّته، فكلّ كتاب له اسم، واسمه هو عنوانه⁵؛ وهذا المعنى، يجعل من العنوان ليس مجرد علامة لسانية لها عدة دلالات، بل هي هويّة النّصّ الأصل ووُسْمِهِ؛ لا

يمكن في غيابها أن نقترّب من مقاصده وأسراره؛ كما يفتح هذا المفهوم نوافذ أخرى في علاقة العنوان بالنّصّ الأصل. فكيف أنّ نصوصاً من قبل، عُرفت واشتهرت ولم يكن لها عنوان؟ بل إن مضامينها، ومطالعها هي التي حكّت عن معانيه ودلالاته؛ كما كان في قصائد الشّعر ما قبل الإسلام أو النّصوص التي لم يُعرف لها عنوان؛ أم أنّ العنوان-راهنّا-أضحى ضرورة لأي عمل إبداعي.

هكذا، واتكأ على ما سبق، فإنّ الباحث خالد حسين حسين قد استخلص مفهوماً جامعاً للعنوان، فعده علامة من العلامات اللّغويّة، تأخذ من واجهة النّصّ موقعاً لها؛ من أجل القيام بوظائفها المعبّرة عن فحوى النّصّ؛ ليصير العنوان إثر ذلك، اسماً للنّصّ الأصل، وعلامة سيميائية، وموقفاً استراتيجياً، يلجّ بواسطته المتلقي إلى النّصّ، كما يعبر هذا الأخير من خلاله إلى العالم بلا حدود بينهما، مع خدمة بعضهما للآخر⁶.

إنّ التعريف السابق ليجمع بين دلالة العنوان اللسانية والعلاماتية، ووظائفه من جهة، وبين موقعه الجاذب للقراء في عملية الاتصال بالنّصّ، أو اتّصال النّصّ بعالم القراء من جهة ثانية؛ مما يزيد من أهميته في قراءة النّصّ، لإضاءة جوانب مظلمة فيه؛ ولفهم بعض دقائقه وأسراره. فهو نقطة عبور مهمّة في المحافظة على التواصل المعرفي والدلالي بين النّصّ الأصل وجمهور القراء وعالمهم ذهاباً وإياباً.

إثر ما سبق، نلاحظ أن الجهاز المفاهيمي للعنوان، قد اهتمّ بدلالته اللسانية والسيميائية، إضافة إلى استراتيجية موقعه، ومدى تأثيره في جمهور القراء من أجل التولّج إلى عالم النّصّ الأصل وكشف حقائقه وأسراره.

ومنه، سنتناول في الجانب التطبيقي، قراءة سيميائية لعناوين واسيني الأعرج المختارة. من خلال نسقها اللساني، وتناسلها العنواني.

3. سيميائية النسق اللساني في عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة:

1.3 المستوى النحوي:

يتناول المستوى النحوي العناصر التركيبية اللّغوية للعنوان؛ ومن تلك التركيبية، يؤدّي النحو دوره ووظيفته في عمليّة التواصل الثقافي أو الجمالي أو لمنفعة⁷.

كما يروم البحث، الكشف عن ذلك التواصل الجمالي في بناء وتركيب عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة⁸ في نسقها اللساني:

- طوق الياسمين.

- مصرع أحلام مريم الوديعة.

- امرأة سريعة العطب.

- مملكة الفراشة.

- سيدة المقام

- حارسة الظلال

إنّ المتأمل في البناء التركيبي لعناوين روايات واسيني الأعرج السابقة الذكر، يلاحظ طغيان الأسماء ودلالاتها؛ والاسم في اللغة العربية يدلّ على الثبات من جهة وقوّة الدلالة الاسمية من جهة أخرى. فما الذي أثبتته هذه العناوين المختارة؟ وكيف تجلّى ترتيبها النحوي؟ وهل لعدد الأسماء فيها دلالة؟

وإذا ما حصرنا الأسماء من العناوين نجد الآتي:

الرواية	عدد الأسماء
طوق الياسمين	02
مصرع أحلام مريم الوديعة	04
امرأة سريعة العطب	03
مملكة الفراشة	02
سيدة المقام	02
حارسة الظلال	02

وصل مجموع عدد الأسماء في عناوين جميع الروايات المختارة: خمسة عشر اسمًا (15)؛ واحتلّ عنوان رواية "مصرع أحلام مريم الوديعة" الصدارة في أكبر الأسماء توظيفًا؛ بأربعة أسماء؛ وهو من العناوين الطويلة في الصياغة؛ والتي نعهدها مع روائيين آخرين؛ أمثال عز الدين جلاوي، في روايته "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، والطاهر وطار، في روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الذكي".

إنّ الصُّوغ الاسمي الطّاغي على العناوين المختارة، يدلّ على إثبات مكرر، يريد الروائي إيصاله من خلال الوظيفة النحوية؛ فالأسماء الواردة في عنوان رواية "مصرع أحلام مريم

الوديعة" عددها أربعة، مرتبة كالاتي: مصرع، أحلام، مريم، الوديعة، فالترتيب النحوي لهذه الكلمات منح لها دلالات ومعاني تحمل بعض المفارقات؛ فلفظة "مصرع" التي وردت مسندا؛ أي خبرا لمسند إليه محذوف وهو (المبتدأ)- تدلّ على القتل والاغتيال، جاء بعدها مباشرة كلمة " أحلام" الدالة على الرؤيا في النوم؛ والتي تأتي غالبا مزعجة ومؤلمة وبعيدة المرام، كما تدلّ أيضا على الأمل، ثم تأتي بعدهما كلمة "مريم" وهي اسم علم اختاره الروائي في العنوان، وشخصية سردية؛ ثمّ يختم بكلمة " الوديعة" والتي تعني الأمانة ، أو ما كانت تخبّنه مريم في نفسها وتحفظ به؛ لكن هذه الأحلام التي احتفظت بها؛ جاء العنوان ليبيّن نهايتها وزوالها؛ من خلال توظيفه للدال "مصرع" والذي يتناقض مع مدلولات "أحلام مريم الوديعة"، وما يحتفظ به غالبا يكون ثمينا، وما تتمناه مريم هو أمر إيجابي؛ يودعه كلّ إنسان لينتظر زمن خروجه إلى عالم الحياة. فما أحلام مريم الوديعة؟ ولماذا قتلت وماتت؟ كما أنّ هذا العنوان- وفي خضمّ المستوى النحوي- قد غلب الجرّ بالإضافة على كلماته؛ والجرّ في اللغة يدلّ على الانكسار والانهمام؛ وهذا ما بدا جليا على العنوان؟ فالقارئ/المتلقّي ينجذب به العنوان نحو متن النصّ؛ للكشف عن حقيقته وللإجابة عن التساؤلات التي تبادرت في ذهنه بعد تلقّيه العنوان..

أما إذا ولجنا عالم الرواية بداية من النصوص المصاحبة للعنوان نرى أثر تلك الدلالة السابقة واضحة؛ فتصدير هذه الرواية كان يعكس حقيقة العنوان؛ إذ يقول الروائي: "حيث يسود الخداع، تختفي الحقيقة دون كيشوت، ميجل سرفانتيس"⁹؛ إنّ هذا النصّ الموازي للمتن، يقع في علاقة تواصل واتصال مع نصّ العنوان؛ من أجل وظيفة الإغراء للقارئ/المتلقّي لتولّج النصّ الأصل.

أمّا إذا بحثنا في دلالة الأسماء الموظّفة في العناوين المختارة، نجد بعض التيمات الدلالية الظاهرة؛ فدوال العناوين أظهرت إثباتات مختلفة؛ ينتظر القارئ/المتلقّي من خلالها الكشف عن سرّها في جوانية النصّ الأصل. والجدول الآتي يبيّن بعض تلك الإثباتات العنوانية:

الدلالة	دوال العناوين
الثبات	التناقض الألم المحنة المقام الرفيع/الرئاسة/الرفعة العجيب

نلاحظ إبراز العناوين المختارة لجملة من الإثباتات وهي على التوالي: التناقض، الألم/المحنة، المقام الرفيع أو الرفعة، والعجيب؛ فما علاقة هذه الإثباتات بالنص من جهة؟ وكيف سيتعامل القارئ/المتلقي معها من جهة ثانية؟

إنّ عالم النصّ يعكس بعض تجلّي الدلالة العنوانية، بل إنّّه يزيل الكثير من الغموض والإبهام والشكّ الذي راود القارئ لحظة تلقّيه لهذه العناوين؛ فاستهلال الرواية القائم على تيمة الألم والمحنة؛ يقترب من تلك الدلالات؛ فيستهلّ الكاتب روايته بقوله: "لم أدر من أين جاءت الضربة. كانت سريعة وجافة. بدا أنّي استطعت فقط، وأنا أنحي من شدة الألم. أن أرى شكل الحذاء الأسود. وخشونته، البقية، لم أر شيئاً، فقد بدت الوجوه مبهمة. " الدّم ينزف كالشلال الساخن، وبيت حميد، وما يزال بعيداً"¹⁰.

إذ إنّ الدلالات التي عكستها الوظيفة النحوية، لعب دوراً مهماً في تحريك فاعلية التلقّي، وجذب القارئ نحو النصّ، من أجل مقارنة فهمه الخارجي للعنوان بما هو في جوانية النصّ المتنّ.

2.3 المستوى المعجمي:

تعدّ البنية المعجمية أساس بناء النصوص¹¹؛ ولا يمكن-بانعدامها- أن نسمّي هذا الإبداع نصّاً؛ لأنها لحمته وجوهره؛ كما أنّ العناوين المختارة قد حملت عدّة بنيات معجمية؛ أدّت إلى خلق عديد من المعاني والدلالات، وأثّر ذلك على تلقّي النصّ وقراءته.

واخترنا عنوان رواية " امرأة سريعة العطب"؛ والتي يتركّب عنوانها العنوان من ثلاث وحدات معجمية؛ وهي (امرأة، سريعة، العطب)؛ لذا ولجنا المعجم العربي لتقصّي المعاني المعجمية لها:

1.2.3 الوحدة الأولى: امرأة

وردت وحدة " امرأة " في معجم لسان العرب، في مادة (نساء)، وهي مفرد "نساء" من غير لفظها "وَالنِّسَاءُ وَالنِّسْوَانُ وَالنِّسْوَانُ: جَمْعُ الْمَرْأَةِ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ.."¹²؛ أي أن المرأة مفرد، وجمعها نساء، وهي جنس مؤنث مقابل للرجل.

2.2.3 الوحدة الثانية: سريعة

ورد معنى وحدة "سريعة" في المعجم العربي، مادة (سرع) "السُرْعَةُ: نَقِيضُ الْبُطْءِ. سَرَعَ يَسْرَعُ سَرَاعَةً وَسِرْعًا وَسِرْعًا وَسِرْعًا وَسِرْعًا، فَهَوَ سَرِعٌ وَسَرِيعٌ وَسُرَاعٌ، وَالْأُنْثَى بِالْهَاءِ..أَسْرَعَ الْمَشْيَ: أَيَّ عَجَلَةٍ..وَأَسْرَعَ الرَّجُلُ: سَرَعَتْ دَابَّتُهُ، كَمَا قَالُوا أَحَفَّ، إِذَا كَانَتْ دَابَّتُهُ خَفِيفَةً"¹³. فتمثلت دلالة "سريعة المعجمية في معاني: العجلة، والخفة.

1.2.3 الوحدة الثالثة: العطب

جاء معنى وحدة "العطب" في اللغة العربية بـ"العَطَبُ: الْهَلَاكُ. يَكُونُ فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ..وَالْمَعْطَبُ: الْمَهَالِكُ"¹⁴؛ وتمثلت دلالة "العطب" معجميا بالهلاك، وكل ما يشابهه ويرتبط به.

من خلال دلالات الوحدات الثلاثة (امرأة، سريعة، العطب): يتراءى لنا أن عنوان "امرأة سريعة العطب" قد دلّ على التأنيث المستعجل للهلاك؛ أي أن المرأة قابلة للعطب والهلاك في أي لحظة؛ ويكون ذلك بعجلة كبيرة؛ لأن المرأة في الواقع رقيقة المشاعر والأحاسيس من جهة، وضعيفة إذا ما قورنت بالرجل من جهة ثانية؛ فالقارئ يتقاطع مع الروائي في تقبل الدلالة الأولى، لكنه جاهل بالدلالة الثانية؛ والمتمثلة في تحديد هوية المرأة الحاملة لتلك الصفات؛ فيلجأ فضولا وجذبا إلى معرفة مقاصد الروائي وأسرار نصّه. محاولا البحث عن إجابات تبادرت في ذهنه تدفعه إلى النصّ دُفْعًا. فما علاقة هذه الدلالات بالمتن النصي؟

إنّ المتن النصي لرواية " امرأة سريعة العطب" قد يبدّد بعضًا من مجاهل العنوان واستفهاماته التي بقيت عالقة في ذهن القارئ قبل قراءة النصّ المتن؛ إذ نلاحظ مقطعًا من الرواية يحكي ألم هذه المرأة السريعة العطب. يقول الروائي: "لست شيئًا في النهاية سوى امرأة هشة، مثل فجر هارب أو جناحي فراشة"¹⁵؛ فاقتربت دلالة المتن من دلالة العنوان؛ فارتبط دال (المرأة) بصفة الهشاشة والضعف؛ فتصبح عرضة للانكسار والانزлам في أي

لحظة، فهي فراشة أيضا؛ فهذا التشبيه الأخير جاء مؤثرا في القارئ، ومزيلا لبعض الالتباس في نصّ العنوان السابق.

أما فيما يخص نكرة اسم المرأة، وعدم الإفصاح عن هويتها؛ فقد تحدّث الروائي عن ذلك، لكنّ بمراوغة سردية، يقول: "اسمي الحقيقي ليس مهما، قد أكون مريم مثلا، ليلي، سوما، رنده، فاطمة، جينا، راما، جهيدة، لطيفة، زينب، عائشة، جيبا، مليكة، فتحة، لطيفة، صفية، غانو، سعدية، مي، أحلام، مغنية، هاجر، سلام، روز، نجاة، حياة، سميرة، سليمة... وقد أكونكن جميعا، فنحن لسنا إلّا مرآيا لهزائمننا المبكرة.." ¹⁶.

يروم هذا المقطع إلى إيهام القارئ أنّ اسم المرأة الواردة في العنوان هو واحد من هذه الأسامي؛ وكل اسم منها، يعبر عن المرأة السريعة العطب، كأنه يقول بتعبير غير مباشر - انطلاقا من النصّ - أنّ كل امرأة مهما كان اسمها فهي سريعة العطب؛ كما نلاحظ أن أسماء الشخصيات التي سردها، هي الأكثر توظيفاً عنده في رواياته الأخرى؛ فلم تكن عشوائية الاختيار بقدر ما كانت لها مهمّات سردية مختلفة في رواياته السابقة، فدهشة القارئ تزيد في هذه المغامرة السردية، فكل مقطع نصّي يحكي عن العنوان بعض أسرارهِ، كما يحكي العنوان أسرار النصّ المتن.

3.3 المستوى الدلالي:

ينهض المستوى الدلالي، في مقارنة النصّ العنواني؛ على معرفة أهم الحقول الدلالية التي عكستها عناوين الروايات المختارة، من خلال الأسماء (الدوال) التي تضمّنتها؛ والتي تعكس مدلولات لحقول مختلفة. إثر ذلك، سنعالج العناوين في حقولها الدلالية من خلال الجدول الآتي:

الألفاظ	الحقل الدلالي
مصراع/العطب/طوق	الألم/المحنة/الفجيعة
سيدة المقام/مملكة	الرّفعة والقيادة والقوة
حارسه الظلال	العجيب والمدهش
أحلام/الوديعه	الأمل
الفراشة	الضعف

الطبيعة	الياسمين
---------	----------

من خلال الجدول السابق لاحظنا بروز حقول دلالية مختلفة؛ بلغت ستة حقول،

وهي:

1. حقل الألم والفجيرة والمحنة..

2- حقل الرفعة والقيادة.

3- حقل العجيب والمدهش.

4- حقل الأمل.

5- حقل الضعف.

6- حقل الطبيعة.

نلاحظ من خلال الجدول السابق، وعدد الحقول الدلالية، أنّ حقل الألم والمحنة والفجيرة، هو الأكثر دوالاً وألفاظاً، عن غيره من الحقول الدلالية؛ فهل كانت تنهض هذه الروايات على تيمة الألم؟ هل عكست تلك العناوين مضامين المحنة والفجيرة في جوانية السرد ومراحله؟ ما محل الحقول الدلالية الأقل وروداً من التلقي كالأمل والطبيعة والضعف؟ لكن على الرغم من ذلك فقد بيّن لنا الروائي جانباً مضيئاً في تلك الحقول، لطالما كان مُظلماً في أغلب رواياته؛ والمتمثل في رفعة المرأة وقيادتها وقوّتها. فأَيّ قيادة ورفعة وقوة يتحدث؟

إثر ذلك، نرى ثنائية ضدية تتسم بها هذه الحقول الدلالية، تثير الدهشة والغربة لدى المتلقي؛ فيلجأ هذا الأخير إلى ردهات النص لمعرفة حقيقتها وسرّها؛ فالمرأة في هذه الحقول منح لها الروائي تيمات الضعف والمحنة والألم من جانب، لكنّه من جانب آخر مغاير ومناقض منحها القيادة والرفعة والقوة. وبدا ذلك جلياً في عنوان روايتي (سيّدة المقام)، و" امرأة سريعة العطب) فهل يحكي مَتنها عن دلالات عُنوانها؟ أم أنّ العنوان جاء مفتاحاً للقراءة والجذب والإغراء؟

إنّه لا يمكن- في كل الأحوال- معرفة الإجابة بسهولة ويُسر ما لم يلج القارئ/المتلقي دهاليز النص المتن؛ ومن ثمةً يستطيع العنوان القيام بوظيفته كنصّ مواز، يساعد على تلقّي النص المتن، سواء بالسلب أو الإيجاب.

4. سيمياء التناص العنوّاني في عناوين روايات واسيني الأخرج المختارة:

بات العنوان-لدى المهتمّين بالنّص الموازي- نصّاً له سرديته ونصّيته؛ فيتناص مع نصوص أخرى خارجة عنه؛ من أجل غايات متعددة. فكيف تجلّى التناص في الدّرس النقدي؟

1.4 التناص في الدّرس النقدي:

تناول التناص العديد من النّقدة والباحثين، فرأته جوليا كريستيفا بأنّه تعالق نص مع نصّ آخر مع إحداث تفاعل بينهما¹⁷؛ إذ يروم مفهوم كريستيفا إلى التركيز على التفاعل بين النّصوص في عملية التأثير والتأثر.

كما تحدّث عن التناص (Intertexte) النّاقّد الفرنسي جيرار جينيت، وصنّفه ضمن أنواع التعالي النصّي الخمسة؛ وهي: (النّص الموازي، التعالق النصّي، الجامع النصّي (معمارية النّص)، الميّنناص (النصية البعدية أو الواصفة، التناص)¹⁸.

إثر ذلك سنحدد نوعين من التناص، وهما التناص الذّاتي، والتناص الغيري (الخارجي)،

- التناص العنوّاني الذّاتي:

وهو تناص ذاتي؛ محصور في عناوين الكاتب نفسه لا يتعدّاه إلى غيره من الكتّاب.

- التناص العنوّاني الخارجيّ (الغيري):

وهو تناص الكاتب في عناوين رواياته مع مضامين ومحاوّر خارجية، يستحضرها لغايات متعددة؛ كالنصوص الدينية أو الشعريّة أو الأسطورية.. وغير ذلك من النصوص الخارجية.

ومنه اخترنا عناوين الروايات الآتية¹⁹:

- وقائع من أوجاع رجل غامر صوب 1981.

- مصرع أحلام مريم الوديعه 2012

- كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد) 2008.

- امرأة سريعة العطب. 2018

2.4 سيميائية التناس الذاتي في عناوين الروايات المختارة:

تجلى التناس الذاتي في عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة؛ فروايتها " وقائع من أوجاع رجل غامر صوب" الصادرة عام 1981، تحمل تيمة الألم في عنوانها، وكذلك الحال في عنوان رواية "مصرع أحلام الوديعة" التي صدرت عام 2012؛ والتي يعكس عنوانها تيمة الفجيعة والألم، والتيمة نفسها حملها عنوان روايته : امرأة سريعة العطب" الصادرة عام 2018؛ إذ لاحظنا أنّ البعد الزمني بين الروايات ، وما صاحبه من تغيّر في الأحداث والوقائع، وكذلك الأوضاع التاريخية والاجتماعية لدى الكاتب زمن كتابة النص (الرواية)، أنّه لم يؤثر في حفاظ الروائي على هذه التيمة؛ فنلفيه يتناس مع رواياته، فجاء التناس ذاتيا؛ وإن لم يكن بارزا في الألفاظ، لكنّه ظاهر وجليّ في الدلالة المتقاربة التي تحملها؛ فصبّت في حقل دلالي واحد؛ وقد سبق وأن تناولنا ذلك، في النسق اللساني الدلالي، حيث يبيّن الجدول الآتي ذلك:

الروايات	التيمة
وقائع من أوجاع رجل غامر صوب مصرع أحلام مريم الوديعة امرأة سريعة العطب	تيمة الألم والمحنة والفجيعة

نلاحظ-من خلال الجدول- الاشتراك في تيمة المحنة والألم في الروايات الثلاثة؛ إضافة إلى بروز ثنائية ضديّة في عنوان رواية " مصرع أحلام مريم الوديعة"؛ بين دال "مصرع" الذي يوحي بالهلاك والفناء، ودال "أحلام الوديعة" والذي يرتبط بالأمل والتفاؤل بغد مشرق.

مصرع ≠ أحلام الوديعة

3.4 سيميائية التناس العنواني الغيري (الخارجي) في رواية كتاب

الأمير:

تجلى التناس الغيري في عناوين روايات واسيني الأعرج الروائية بتمظهرات مختلفة، منها: التناس الديني، والتاريخي الأسطوري، الشعري، الروائي، الشعبي، التناس من الأمثال والحكم وغيرها كثير؛ حيث سنقتصر في بحثنا على التناس التاريخي؛ من خلال الحفر في

الذاكرة التاريخية الجزائرية في بعض فتراتنا. واختارنا عنوان رواية "كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)" أنموذجا له. فكيف تجلّى التناص الغيري في رواية واسيني الأعرج المختارة؟

تمظهر التناص الخارجي في عنوان رواية "كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)" في توظيف تاريخ الشخصية التاريخية الجزائرية المقاومة للاستعمار الفرنسي، والبانة للدولة الحديثة الجزائرية؛ والمتمثلة في "الأمير عبد القادر الجزائري" فقد وظّف الكاتب هذه الشخصية كعنصر سردي في روايته كما في عنوانها؛ فهل أبقى الروائي على مكانة الأمير الواقعية، وهيبته حتى أمام أعدائه؟ ومن ثمة منحه الشخصية الرئيسة في الرواية؟ أم أنه وظّفه كشخصية عادية سردية، تتماشى وأحداث الرواية؟ أم أن حضوره في العنوان كرمز تاريخي فقط، ومن أجل إغراء القارئ/المتلقّي بقراءة النص والتفاعل مع أحداثه؟

إنّ المتن النصي للرواية يمكن أن يقترب من الإجابة عن تلك الإستفسارات التي يثيرها عنوان الرواية المختارة. يقول الروائي بلسان السارد (مونسينيور أنطوان ديبوش) (أسقف الجزائر السابق)، وهو يتحدث عن رسالته إلى رئيس فرنسا آنذاك (لويس نابليون بونابرت) يتّجى منه إطلاق سراح الأمير: "الحل الوحيد المتبقي بين يديّ هو أن أبدأ في كتابة هذه الرسالة إلى رئيس الجمهورية لويس-نابليون بونابرت. رسالة لا شيء فيها إلّا ما رأيته العين أو أملاه القلب. الأوضاع تغيّرت. ولا بدّ أن يكون لويس-نابليون بونابرت الذي عرف المنفى يُدرك اليوم قسوة الظلم والضرارة التي يشعر بها الإنسان وهو بعيد عن التربة التي نبت فيها"²⁰.

يبدو من خلال هذا المقطع النصي أنّ شخصية الأمير البارزة في العنوان، كان لها صدى داخل الرواية، مع استحضار شخوص واقعيين آخرين من التاريخ آنذاك؛ كشخصية أسقف الجزائر السابق (مونسينيور أنطوان ديبوش)، عندما بعث برسالة إلى رئيس فرنسا وقتئذ، يذكره بعواقب المنفى؛ لأنّه -هو الآخر- كان له نصيب منه؛ فالقارئ للرواية، يرى بأن شخصية الأمير وظّفت في المتن، قريبة من الحقيقة الواقعية التاريخية؛ فأبقى للأمير مكانته، ووظّفه شخصية سردية لكنّها تعكس بعض ملامح الواقع التاريخي؛ فالقارئ ربّما يتوخّى الحذر من العنوان الفرعي (مسالك أبواب الحديد)، فيتلجّ النص المتن لبحث عن حقيقة ذلك؛ ويفك شفرات ذلك العنوان الفرعي الذي هو جزء من العنوان الرئيس.

فالرواية قد برز فيها جلياً التناسخ الخارجي التاريخي، الذي عبّر عن فترة الأمير عبد القادر الجزائري، والمقطع السابق يتحدث عن فترة سجنه بفرنسا في قصر أمبواز.

5. خاتمة:

نستنتج من خلال هذا البحث، أنّ النّسق اللّساني، والتّناص العنوّاني في عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة، قد ترك كثيرًا من العلامات والمعاني والدلالات، نجملها في الآتي:

- انتقل الحديث عن العنوان من الهامش إلى المتن؛ لأنّه نص موازٍ يضطلع بصفات النصّ الأصل النصية، وقابل للتحليل السّردي.

- أبان النّسق اللّساني في عناوين الروايات المختارة لواسيني الأعرج علامات دالّة؛ في المستويات الثلاثة: النحوي، والمعجمي، والدلالي؛ فالأول كشف عن ثبات الصوغ بالاسمية، مع دلالات الترتيب الهندسي للكلمات؛ الذي أنتج غياباً للمسند إليه وحضوراً للمسند، أما الثاني فكشف عن دوال العناوين المختارة؛ التي عكست بعض ملامح ومجاهل المتن النصي. كما أنتج كذلك المستوى الدلالي حقولاً متعددة، تنهض على تيمة المحنة والألم أكثر من غيرها من الحقول.

- أضى العنوان الروائي منفذاً بالكثير من التقنيات الفنية من جهة، والتأثير الفعّال في المتلقّي من جهة أخرى.

- يعدّ العنوان الروائي نصّاً موازياً يكشف الكثير من العلامات الفارقة في تلافيفه؛ وتعدّ هذه العلامات -في الوقت نفسه- مفاتيح للنص الأصلي ومصباح تنير دربه.

- تجلّى النّسق اللّساني في عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة في علامات المستويات اللسانية؛ كالمستوى النحوي، والمعجمي، والدلالي؛ إذ كشف المستوى النحوي عن ثبات الاسمية في العناوين، وتفاوت عدد الأسماء فيها، من عناوين قصيرة، وعناوين متوسطة، وأخرى طويلة. أمّا المستوى المعجمي فبيّن عن تأثيره البالغ في القارئ، وفتح باب الحيرة والمفاجأة من تلقي النص. وأظهر المستوى الدلالي علامات المحنة والألم والفجيرة في كل العناوين المختارة، فكانت قاسماً مشتركاً، في العناوين، وكذا المتن الروائي.

- بروز التناسخ بنوعيه الذاتيّ والغيريّ في عناوين روايات واسيني الأعرج المختارة؛ فتجلّى الأوّل في تناسخ الروائي مع إبداعات الروائية؛ من خلال نهوض عناوين رواياته على

تيمة المحنة والألم والفجيرة. أمّا الثاني فتجلّى في استحضار الروائي التّاريخ والحفر في ذاكرته؛ من خلال توظيف شخصية جزائرية تاريخية معروفة في العنوان؛ وهي شخصية الأمير عبد القادر؛ كما وُفق الروائي في كيفية توظيفها ضمن العملية السّردية القائمة على المزج بين الخيال والواقع.

- كانت جلّ العناوين الروائية المختارة لواسيني الأعرج، تتميز بزخم دلالي كبير؛ نتيجة كثرة العلامات الدّالة في دوالها اللفظية ومفارقتها؛ فأضحت مدلولاتها لا تجيب على التساؤلات التي بات القارئ/المتلقي يبحث عن حقيقتها؛ فتترك فراغات لا تُملأ إلى بالتولّج إلى عالم النّص المتن ودهاليزه، ومحاولة فهم أسرار ومجاهله من خلال ربط علامات العنوان المفارقة بالعملية السردية في النّص الأصل.

6. الإحالات والهوامش:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون مادة (عنن)، دار المعارف-القاهرة- مصر، دط، دت، ص 3139-3147.

² Voir :Léo Hoek: La Marque du titre, éd moutons, paris, 1973,p 17.

³ - Gérard Genette :Seuils, Edition du seuil, paris, 1987,p 56.

⁴ - ينظر: بسام فطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001، ص 06.

⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

⁶ -ينظر: خالد حسين حسين، في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصّية)، التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، دط، 2007، ص 77.

⁷ - ينظر: جميل حمداوي، (السيميوطيقا والعنونة)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، الجزائر، مج 25، ع3، يناير/مارس، 1997، ص 99.

⁸ - واسيني الأعرج:

طوق الياسمين (رسائل في الشوق والصبابة والحنين)، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان/الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2004.

مصرع أحلام مريم الوديعة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

امرأة سريعة العطب، مداد للنشر والتوزيع، دبي، ط1، 2018.

مملكة الفراشة، دار الصدى، دبي، ط1، 2013.

- سيدة المقام (مراثي الجمعة الحزينة)، دار الآداب، بيروت، ط1، 2015.
- حارسة الظلال، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2006.
- ⁹ -واسيني الأعرج، مصرع أحلام مريم الوديعة، ص7.
- ¹⁰ -المصدر نفسه، ص10.
- ¹¹ -Voir : Louri Lotman, La structure du texte artistique, Gallimard, paris, 1973 , p :243/p 260.
- ¹² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسا) ص: 4415.
- ¹³ -المصدر نفسه، مادة (سرع) ص1994.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، مادة (عطب) ص2993.
- ¹⁵ -واسيني الأعرج، امرأة سريعة العطب، مداد للنشر والتوزيع، دبي، ط1، 2018، ص11.
- ¹⁶ - المصدر نفسه، ص11.
- ¹⁷ - ينظر: عبد المعطي كيوان، التناص القرآني في شعر أمل دنقل، مكتبة النهضة المصرية، المنصورة، دط، 1998، ص20.
- ¹⁸ - ينظر: جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص103.
- وينظر أيضاً: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989، ص96.
- ¹⁹ -واسيني الأعرج؛
- وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق دط، 1971.
- مصرع أحلام مريم الوديعة، مصدر سابق.
- كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان ط2، 2008.
- امرأة سريعة العطب، مصدر سابق.
- ¹⁹ -واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص11.
- ²⁰ -المصدر نفسه، ص26.